



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الإلحاد

والانحلال الأخلاقي

إعداد

الدكتور عبد القادر سليمان

أستاذ التعليم العالي بجامعة وهران - الجزائر

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر

الشباب المرسل والإعلام الجديد

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٤ / ذو الحجة / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٦ - ١٧ / سبتمبر / ٢٠١٥ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ - ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: (٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠) : whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، نبي الله ورسوله ﷺ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا شك أن الشباب هم قادة الغد، وأمل المستقبل، وعلى أكتافهم تقام حضارات، وتُرفع أمجاد، ولقد اهتم الإسلام بالشباب اهتماماً جاداً، ووجه حميتهم توجيهاً سديداً، وأرشدهم إلى سبل الخيرات، ورَسَخَ فيهم دعائم الإيمان وفضائل الأخلاق.

وفي واقعنا المعاصر أصبحت المجتمعات العربية والإسلامية عموماً، وشبابها خصوصاً؛ تحت تأثير إعلام جديد ومفتوح، في ظل أجواء محمومة مليئة بحملات التشكيك وتشويه الدين عبر مختلف الوسائل الحديثة والمتطورة، وبالأخص الوسائل الإلكترونية الإعلامية كشبكات التواصل الاجتماعي التي انتشر استخدامها انتشار النار في الهشيم، وهناك من يتعمد نشر هذه الشكوك وإثارة التساؤلات عبر هذه الشبكات، لدفع الناس للابتعاد عن الدين، بقصد إضعاف المجتمعات الإسلامية، فأدى ذلك إلى تزايد الإلحاد والانحلال الأخلاقي عند فئة من الشباب؛ وما ذلك إلا بسبب الانفتاح الإعلامي المسعور على الثقافة الغربية المادية، التي تميل بطبيعتها للإلحاد وإنكار وجود الله تعالى، مما جعل هؤلاء الشباب لقمة سائغة للوقوع في فخ الإلحاد والانحلال الأخلاقي.

فما هو مفهوم الإلحاد؟ وما هي أنواعه؟ وما هي أسبابه؟ وما علاقته بالانحلال الأخلاقي؟ وما هي سبل معالجته في ظل الإعلام الجديد بوسائله الحديثة والمتطورة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة؛ قسمتُ البحثُ إلى تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وجملة من التوصيات.

أما التمهيد: فتناولتُ فيه تعريف المصطلحات المفتاحية، وأخصّ بالذكر: الإلحاد، والانحلال الأخلاقي.

وأما المبحث الأول: فخصّصتهُ للحديث عن أنواع الإلحاد، وأسبابه، وأثره السيئ على الفرد والمجتمع.

وأما المبحث الثاني: فتناولتُ فيه الانحلال الأخلاقي وأثره السيئ على الفرد والمجتمع.

وأما المبحث الثالث: فبيّنتُ فيه سبل معالجة الإلحاد والانحلال الأخلاقي، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأما المبحث الرابع: فتناولت فيه ظاهرة الإلحاد في الإعلام الجديد، والجهود المبذولة في التصدي لها في الوسائط الإعلامية الرقمية.

وأما الخاتمة: فذكرتُ فيها جملةً من النتائج التي تضمّنها هذا البحث، وبعض التوصيات التي رأيتُ أنها تفيد موضوعَ البحثِ خصوصاً، وموضوعَ المؤتمرِ عموماً، واللهُ وليُّ التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

تعريف ببعض المصطلحات العلمية المتعلقة بموضوع البحث:

أولاً: مفهوم الإلحاد:

ورد لفظ الإلحاد وحقيقته في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فتضمنت الآية معنى الإلحاد في أسمائه سبحانه، وأنه الميل بها عما جعلت له، إما بأن يُسَمَّى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لألهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى غير ما أَرَادَهُ اللَّهُ ورسوله، وإما أن يشبهها غيرها^(١).

- في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَامِ يُظَلِّمْ نَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وقد اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، وذهب أبو جعفر الطبري إلى أن أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما ذهب إليه ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، أن المعنى بالظلم في هذا الموضع: كل معصية لله يقترفها العاصي، وذلك أن الله عمَّ بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَامِ يُظَلِّمْ﴾، ولم يخص به ظمماً دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومته، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصي الله فيه، يذيقه يوم القيامة عذاباً موجعاً له^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، (١/٣٠٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، (١٨/٦٠٢).

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، ومعنى الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان، إما بإنكارها وجحودها وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها ما أرادها الله منها^(١).

١- وعليه فإن أصل معنى الإلحاد في اللغة هو الميل، يقال: ألحد بمعنى مأل، وعدل، وما رى، وجادل، وجار، وظلم^(٢)، ولحد الرجل في الدين لحداً، وألحد إلحاداً: طعن^(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سَمْتِ الحَفْرِ»^(٤).

٢- وأما الإلحاد اصطلاحاً: فقد جاء مبيناً في أقوال أهل العلم بناءً على أصله اللغوي:

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه»، وقال قتادة: «هو الكفر والعناد»^(٥)، وقال ابن الجوزي: «الإلحاد العدول عن

(١) تفسير السعدي، (١/٦٠٠-٦٠٢).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٣/٣٨٨)، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (١/٦١٢)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المتوفى ٧٧٠هـ، (٨/٢٣٦).

(٣) المصباح المنير للفيومي، (٨/٢٣٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (٣/٥١٦).

(٥) ابن كثير، المصدر نفسه (٧/١٨٣).

الاستقامة»^(١)، وقال ابن تيمية: «الإلحاد يقتضي ميلاً عن شيء إلى شيء باطل»^(٢)، وقال القشيري: «الإلحاد هو الميل عن القصد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان، فأهل التمثيل زادوا فألحدوا، وأهل التعطيل نقصوا فألحدوا»^(٣)، وقال ابن عثيمين: «العدول عمّا يجب اعتقاده أو عمله»^(٤).

وجملة القول: فالإلحاد اصطلاحاً هو العدول والميل عن الاستقامة والحق والقصد، وعمّا يجب اعتقاده أو عمله.

٣- مفهوم الإلحاد كمذهب فلسفي:

لا شكّ أن الإلحاد مذهب فكري فلسفي يقوم على تصوّر أساسه إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، وقد تميّز هذا المذهب بجملة من الخصائص، وهذه أبرزها:

- أن الملحدين يدّعون أن الكون وُجد بلا خالق.

- وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

(١) تلبس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ، ص (١٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز - عامر الجزائر، (١٢٤/١٢).

(٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى ٤٦٥هـ، تحقيق إبراهيم البسيوني، (١/٥٩١).

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى ١٤٢١هـ، (٢١/١).

- وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء، فذلك مما لا يقبله العلم في زعمهم.

- ولا يعترفون بأية مفاهيم أخلاقية، ولا بقيم الحق والعدل، ولا بفكرة الروح، والإنسان في نظرهم مجرد مادة تُطبَّق عليه كافة القوانين الطبيعية، بناءً على معتقدتهم الفاسد: لا إله، والحياة مادة.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من هذه النزعة الإلحادية التي جسدها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة^(١).

ثانياً: مفهوم الانحلال الأخلاقي:

هو الخروج عن الدين القيم والفترة السليمة، المتمثلة في المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه^(٢)، ولهذا يقال: انحَلَّ خُلُقُهُ: يعني ساء وانحطَّ، وتحلَّل من القيم الخلقية السائدة، فهو شخص مُنحَلٌّ، أي فاسد، لأنه مأل وانحرف عن النهج القويم، وخرج عن الفترة التي فطره الله عليها، قال الله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، (٤/ ١٥١)، على موقع الكاشف: www.alkashf.net/mthahb.

(٢) التربية الأخلاقية الإسلامية، لمقداد بالجين، رسالة دكتوراه منشورة، (ص: ٧٥).

المبحث الأول

الإلحاد: أنواعه، وأسبابه، وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع

أولاً: أنواع الإلحاد:

الإلحاد محرّم بنصوص القرآن والسنة، وينقسم إلى نوعين أساسيين، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- الإلحاد في أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- الإلحاد في آيات الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وآيات الله نوعان:

- آيات كونية: وهي مخلوقاته كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، ويكون الإلحاد فيها: بنسبتها إلى غيره؛ كأن يدعي أحد بأن الخالق غير الله، أو بأن ينسب إليها التصرف في الكون؛ فيزعم مثلاً أن المطر يقع بنوء كذا، ونحو ذلك.

- آيات شرعية: وهي كلماته في القرآن العظيم، والإلحاد فيها يكون بتعطيلها، وجحدها، وعدم الحكم بها.

النوع الأول: الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته:

جاء التصريح بالإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن إلحادهم في أسمائه سبحانه وتعالى: أنهم اشتقوا العُزَّى من اسم العزيز، واللات من اسم الله^(١)، وهذا النوع من الإلحاد وقع في بعضه طوائفٌ منتسبة إلى هذه الأمة: كالجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرهم، وقد ذكر ابن القيم خمسة أنواع للإلحاد في أسماء الله وصفاته، وهي:

الأول: أن يسمَّى الأصنامَ بها، كتسميتهم اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز.

الثاني: تسميته سبحانه وتعالى بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجِباً بذاته أو علةً فاعلةً بالطبع... ونحو ذلك.

الثالث: وَصْفُه -تعالى وتقدَّس- بالنقائص؛ كقول اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفاتٍ ولا معانٍ.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه^(٢)، تقدَّست أسماؤه وصفاته سبحانه وتعالى.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (٧/٤).

(٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا- عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، (١٧٩/١-١٨٠)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، (٣٣٣/٢).

النوع الثاني: الإلحاد في آيات الله:

١ - أنكرت طوائف من بني آدم توحيد الربوبية، وعطلت المخلوق عن خالقه، معتقدين أنه لا صانع للعالم ولا مدبر لهذا الكون، ومن أبرزها:

أ- الدهرية: وهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاها الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] (١).

قال ابن كثير في شأن هذه الآية: «يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أي ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع... فكابروا المعقول وكذبوا المنقول» (٢).

وفي هذا السياق يقول ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا، وهو الذي يحيينا ويميتنا؛ فنزلت هذه الآية (٣)، وهذا كلام يتضمّن جملة من المعتقدات الفاسدة، كإنكار الآخرة وتكذيب البعث وإبطال الجزاء.

وقال السعدي: «أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار، يموت أناس ويحيا أناس، وما مات فليس براجع إلى الله ولا مُجازى بعمله،

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، (٢/ ٢٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/ ٢٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، (١٦/ ١٧٠).

وقولهم هذا صادر عن غير علم ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا يَطْنُونَ﴾، فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين، من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان^(١).

ب- ويندرج ضمن هذا النوع أيضاً: دهرية الفلاسفة كما سمّاهم شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢)، فقد ذهب جُلُّهم إلى أنه لا صانع للعالم، ولا مدبّر لهذا الكون، ويلخص ابن أبي العز مذهبهم الإلحاديّ في خمسة أصولٍ هي:

- أن الله سبحانه وتعالى موجود لا حقيقة له ولا ماهية، لا يعلم الجزئيات بأعيانها ولكنه يعلمها إجمالياً، وبالتالي أنكروا خلق أفعال عباده.

- لا يؤمنون بكتبه حيث إن الله عندهم لا يتكلم ولا يكلم، وأن القرآن فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زكي النفس طاهر، تعالى الله عن وصفهم علواً كبيراً.

- ليست في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء، وترى وتخطب الرسول؛ وإنما هي عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

- وأما اليوم الآخر فهم أشدّ الناس تكذيباً به وإنكاراً له في الأعيان.

- إنكار البعث والجنة والنار، وكلّ هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهم العوام لا حقيقة لها في الخارج^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (١/٧٧٧).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، تحقيق: إبراهيم سعدي أبو عبد الله، (١/١٧٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الألباني، ص(٢٩٧-٢٩٨).

والواقع أن هذه الفلسفة اليونانية الملحدة لا زالت روافد في كافة الفلسفات والدعوات الغربية القديمة والحديثة، بل وتأثرت بها معظم الفرق الإسلامية الكلامية، والحق أنها جسم غريب داخل كيان الإسلام، فليس في الإسلام فلسفة، ولا بين المسلمين فلاسفة بهذا المعنى المنحرف، وإنما في الإسلام علم محقق وعلماء محققون.

قال ابن القيم بعد حديثه عن فرّق الفلاسفة: «وبالجملة فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطّلوا الشرائع، وعطّلوا المصنوع عن الصانع، وعطّلوا الصانع عن صفات كماله»^(١).

وقد أخبر الله تعالى عن جحود فرعون لهذا التوحيد ومنازعتة لله فيه، كما قال تعالى عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال سبحانه وتعالى عنه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وفي هذا السياق يقول ابن تيمية: «أشهر من عُرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع: فرعون، وقد كان مستيقناً في الباطن كما قال له موسى ﷺ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَأَسْتَيْفَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»^(٢).

٢- المذاهب الإلحادية الفكرية والفلسفية التي ظهرت في الغرب، ثم انتقلت إلى الشرق، وقد تمحورت حول جملة من الأفكار والمعتقدات، أبرزها:

(١) إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، (٢/٢٦٨).

(٢) دَرَّةُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، (٤/١٢١).

- الشيوعية (communisme): وهي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات والعامل الاقتصادي؛ ظهرت في ألمانيا على يد «كارل ماركس وإنجلز»، وتجسدت في الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار، وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وبسببها مُحيت شعوبٌ من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي وتفكك إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق^(١).

- الوجودية (existentialisme): وهي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وإنكار الخالق، وهو ذو اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرد، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع؛ وتعتبر جملةً من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم، ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب؛ لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار^(٢).

- الطبائعيون (naturaliste): وهم القائلون بأن العالم وُجد بفعل الطبيعة، أي أن ذوات وخصائص الأشياء من نبات وحيوان وجماد؛ أوجدت نفسها بنفسها.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (١/١٧٧).

(٢) الموسوعة الميسرة (١/١٥٥).

وبالطبع يمتنع أن يكون الشيء خالقاً ومخلوقاً في آنٍ واحد، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، فالآية تبين أن مستحق العبادة هو من يخلق الخلق ويبرزهم من العدم، أما غيره فهو مخلوق محتاج إلى من يخلقه ويدبر شؤونه^(١)، والطبيعة التي يسندون إليها الإيجاد، جمادات؛ صماء، عمياء، بكماء، لا مشاعر لها ولا أحاسيس، فكيف تنشئ مخلوقات حية؟! قال ابن الجوزي: «لَمَّا رَأَى إبْلِيسُ قِلَّةَ موافقيه على جحد الصانع لكون العقول شاهدةً بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حَسَّنَ لأقوامٍ أن هذه المخلوقات من فِعْلِ الطبيعة»^(٢).

٣- المذاهب الباطنية: والعلماء يطلقون اسم الباطنية على عدة فرق: كالإسماعيلية والنصيرية والقاديانية والبهاية وغيرها، وتدور هذه الفرق في دوائر وهمية لا حصر لها، وكلها في الحقيقة ترجع إلى إنكار وجود الله وجحد أسمائه الحسنی وصفاته العُلى، وتحريف شرائع النبيين والمرسلين، مع التستر بدعوى التشيع لآل البيت حيناً والتجديد حيناً آخر، وتذرّعوا بأحاديث يختلقونها أو يحرفونها أو يؤولونها، وعامة تأويلاتهم مبنية على أصول المجوس وبعض نظريات ملاحدة الفلاسفة القدماء مثل أرسطو^(٣).

(١) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (٢/ ٣٣٠).

(٢) تلبس إبليس، (١/ ٤١).

(٣) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبه الحمد، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص: ٩٥).

قال البغدادي: «ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية، كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يَجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأعمار منهم أسساً: مَنْ قَبَلَهَا صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي ﷺ موافقة على أصولهم»^(١).

فالملاحدون في زماننا هم الباطنية الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة، لأنهم تأولوها بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن^(٢)، فكانوا كما قيل فيهم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر.

ثانياً: أسباب الإلحاد ودوافعه:

انتشر الإلحاد خلال القرون الثلاثة الأخيرة: الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين، وجاء نتيجة للصراع بين العلم والكنيسة في أوروبا، وانتهى الصراع بانتصار العلم وانهزام دُعاة الكنيسة، وقد اتخذ مفكرو تلك الفترة هذا الموقف ذريعة لرفض الدين جملة وتفصيلاً وإنكار حقائقه، وعلى رأسها: الإيمان بالله جلّ وعلا، ومن ثمّ سرى الإلحاد بمعنى إنكار وجود الخالق، ودبّ هذا المعتقد الفاسد في المجتمعات العربية والإسلامية نتيجة أسباب عدة، أبرزها:

(١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، (١/٢٦٩).

(٢) المصباح المنير، (٨/٢٣٦).

١- الإعراض عن ذكر الله واتباع الهوى:

فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم نوراً وهُدًى للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، إلا أن فثاماً من الناس أعرضوا عن الوحي، فوقعوا في الحيرة والاضطراب وأصابهم الشك والارتياب، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضَيْقِ الصِّدْرِ: الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَالْغَفْلَةُ عَنِ ذِكْرِهِ، وَمَحَبَّةُ سِوَاهُ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُدِّبَ بِهِ، وَسُجِنَ قَلْبُهُ فِي مَحَبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْهُ، وَلَا أَكْثَفَ بِالْأَلَاءِ، وَلَا أَنْكَدَ عَيْشًا، وَلَا أَتْعَبَ قَلْبًا»^(١).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «جَمَاعُ الْفَرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرِّشَادِ وَالْغَيِّ، وَطَرِيقُ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ، وَطَرِيقُ الشَّقَاوَةِ وَالْهَلَاكِ: أَنْ يَجْعَلَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسَلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ؛ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْفَرْقَانُ وَالْهُدَى، وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ، فَيَصْدُقُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَمَا سِوَاهُ مِنْ كَلَامٍ سَائِرِ النَّاسِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ وَافَقَهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ خَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ هَلْ وَافَقَهُ أَوْ خَالَفَهُ لَكُنْ ذَلِكَ الْكَلَامُ مَجْمَلًا لَا يَعْرِفُ مَرَادَ صَاحِبِهِ أَوْ قَدْ عَرَفَ مَرَادَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَعْرِفْ هَلْ جَاءَ الرَّسُولُ بِتَصْدِيقِهِ أَوْ تَكْذِيبِهِ؛ فَإِنَّهُ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٢/٢٥).

يمسك فلا يتكلم إلا بعلم»^(١)، وقال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إياكم والإعراض عن ذكر، الله فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز»^(٢).

وقال أبو القاسم القشيري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الاستقامة على الطريقة تقتضي إكمال النعمة وإكثار الراحة، والإعراض عن الله يُوجب تَنْغُصَ العَيْشِ ودوام العقوبة»^(٣).

٢- معارضة الوحي بالعقل:

لا شك أن التذبذب والاضطراب النفسي هو حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويردّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، وأول شبهة وقعت في الخليفة: شبهة إبليس، قال الشهرستاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها - وهي النار - على مادة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الطين»^(٤).

وقال ابن أبي العز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول، فقد ضاهى إبليس؛ حيث لم يُسلم لأمر ربه؛

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/١٣٥-١٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/٣٧٠).

(٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، (٣/٦٣٩).

(٤) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، (١/١٥).

حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] (١).

٣- الجهل بعظمة الله جلّ وعلا:

يطرأ الإلحاد على القلوب الضعيفة التي جهلت عظمة الله وقدره، وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، قال محمد بن كعب القرظي: لو قدروا الله حق قدره ما كذبوه.

وفي السنة من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال؛ فاستسقى لنا ربك؛ فإننا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه...» الحديث (٢)، فبين صلى الله عليه وسلم أن السبب في وقوع هذا الشرك اللفظي؛ هو الجهل بعظمة الله وقدره.

٤- الاشتغال بكلام الفلاسفة وتعظيمهم:

معلوم أن هذا الاتجاه هو عبارة عن مذاهب فكرية فلسفية وإلحادية، تعتمد على مزيج من مفاهيم الديانات الشرقية والوثنيات والفلسفات الغربية الملحدة، وتدعو لكثير من طقوس الأديان الشرقية ووثنياتها في قوالب فكرية عصرية (٣)،

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ص: ١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سنته، (كتاب السنة، باب في الجهمية، ح: ٤٧٢٨، ٤/ ٣٦٩)، وضعفه الألباني.

(٣) المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، د. فوز بنت عبد اللطيف كردي،

مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، (ص: ١١).

ولا شك أن هذا الاتجاه الفلسفي يشكّل الطوائف المنكرة لوجود الله سبحانه وتعالى؛ وعلى هذا الأساس كثر تحذير السلف من الأخذ بالفلسفة والتلقّي عن أهل الكلام، مخافة الوقوع في المحذور.

وفي هذا السياق يقول الحافظ ابن حجر: «قد توسّع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة، في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردُّون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطالحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف»^(١).

وهذه جملة من أقوال أهل العلم في الفلاسفة والتحذير من الخوض في حديثهم:

قال الإمام أحمد: «لا يفلح صاحب الكلام أبداً»^(٢).

وقال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق»^(٣).

وقال ابن الصلاح: «الفلسفة أسُّ السّفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة»^(٤).

(١) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، (٢٦٧/١٣).

(٢) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، (٤/١٢٦٩).

(٣) الصواعق المرسلّة، (٤/١٢٦٤).

(٤) فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، (١/٢١٠).

وقال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي: «تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»^(١).

ويستثنى من التحريم: دراسة أهل الاختصاص لها؛ لبيان ما فيها من انحراف والرد على ما تثيره من باطل، والله أعلم.

٥ - الجدل والمراء في دين الله:

أمرنا الإسلام بترك الجدل والمراء في دين الله إلا بالتي هي أحسن، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال أيضاً: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والجدال لإظهار الحق وإبطال الباطل مقبول، أما الجدل في الدين لأجل الخصومة أو لأجل الباطل أو لأجل الإيذاء والإغواء؛ فلا يجوز؛ لأنه في هذه الحالة يجلب الشحنة والعداوة والبغضاء ويفرق المسلمين.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا هذه الآية ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]^(٢).

وفي هذا السياق يقول ابن عثيمين: ينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

(١) كما في كتاب شرح العقيدة الطحاوية، (ص: ٢٠٨).

(٢) رواه الترمذي في سننه (ح: ٣٢٥٣، ٣٧٨/٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني.

الأول: أن يكون الغرض منه إثبات الحق وإبطال الباطل؛ وهذا مأمور به: إما وجوباً، وإما استحباباً؛ بحسب الحال، لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنت أو الانتصار للنفس أو للباطل؛ فهذا قبيح منهئي عنه لقوله تعالى: ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥]^(١).

٦- التجرؤ على الخوض في المغيبيات بغير علم ومعرفة بأصول الدين:

وقد يتحقق هذا عند بعض الشباب الذي عنده ثقة زائدة بإيمانه وصحة اعتقاده، وفي كثير من الأحيان يكون هذا الإيمان مجرد إيمان قلبي عاطفي ليس مؤسساً علمياً بشكل صحيح، فهو إيمان بالقلب دون معرفة بالدين وأدلته وأسباب اليقين به، وعندما يتعرض هذا الصنف من الشباب لتحديات واستشكالات وتساؤلات الإلحاد؛ لا يجد لديه من العلم أو المعرفة ما يدفع به هذه التساؤلات والشكوك، وهو في الوقت نفسه لا يعترف بجهله بدينه، وبأن الأجوبة عن هذه التساؤلات موجودة لكنه يجهلها، فتكون النتيجة: وقوعه في الإلحاد^(٢).

وفي هذا السياق يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين للهدى من الضلال، والحق من الباطل؛ ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ المناقض لدين الرسل، ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به

(١) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح العثيمين، (ص: ٥٦).

(٢) الإلحاد في العالم العربي، د. هشام عزمي، مجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، العدد الثاني، رجب ١٤٣٥هـ، مايو ٢٠١٤م.

وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عامٌ لجميع العلوم التي تُوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية أدلةً لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة، فالله المستعان^(١).

٧- سعي اليهود لنشر الإلحاد في العالم:

اليهود سعوا ويسعون دائماً لنشر الإلحاد في العالم؛ لتسهيل السيطرة عليه وإخضاعه لما يريدون، جاء في البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون: «علينا أن نتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية»^(٢)، وفي البروتوكول الرابع عشر يقولون: «يجب علينا أن نحطم كل عقائد الأديان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة: إثمار ملحدين»^(٣)، كما عملوا على تشويه الدعوة إلى الله والمصلحين للحط من قيمتهم الدينية في المجتمعات، جاء في البروتوكول السابع عشر: «وقد عيننا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (١/٧٤٣).

(٢) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، تقدير الكتاب وترجمته لعباس محمود العقاد، (ص: ١٣١).

(٣) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، (ص: ١٦٩).

كؤوداً في طريقنا»^(١).

فواضح من مخططاتهم كيف سعوا في هدم الأديان ونسف الإيمان من النفوس عن طريق المذاهب السياسية والاجتماعية والفكرية والبيولوجية، كمذهب دور كايم والشيوعية والوجودية ومذهب التطور وما شابه ذلك من المذاهب الفلسفية والإلحادية.

٨- عدم تطوير الأدوات والآليات والمناهج في صياغة الخطاب الديني جمعاً بين الأصالة والمعاصرة:

والمقصود من ذلك: عدم مواكبة الأطروحات الثقافية والعلمية الجديدة، والتحديات التي يفرضها العصر، اقتصادياً وثقافياً وتربوياً، خصوصاً فيما يتعلق بالإعلام الجديد بوسائله المختلفة، وكان هذا سبباً في انخفاض مستوى التدين في المجتمع بشكل لا يوفر لأفراده المناعة والحصانة ضد الأفكار المخالفة بما فيها الإلحاد والانحلال الأخلاقي، وهذا الانخفاض في التدين على صورتين: انخفاض مستوى العلم بالدين والتفقه فيه بين الناس؛ وانخفاض مستوى الالتزام بالطاعات ومراقبة الله في الأفعال والسلوكيات بين عوام الناس، وفي مثل هذا المجتمع الهش دينياً؛ يسهل على أفكار الإلحاد أن تتسرب بسهولة إلى عقول وقلوب من لم ينشأ على علم بالدين أو استحضار مراقبة الله في سلوكياته، ولا يعني هذا أن أبناء الأسر المتدينة محصنون ضد خطر الإلحاد والانحراف، فإذا كان المجتمع الخارجي في عمومه متحجراً دينياً؛ غير قادرٍ على مواجهة الأفكار المنحرفة، ويسوده الجهل بالدين وعدم الالتزام به عملياً وسلوكياً، فلا حصانة حقيقية لأبناء الأسر المتدينة، بل هم عرضة للوقوع في

(١) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، (ص: ١٨٧).

الإلحاد وسائر الانحرافات كغيرهم^(١).

(١) الإلحاد في العالم العربي، د. هشام عزمي، مجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة، العدد الثاني، رجب ١٤٣٥هـ - مايو ٢٠١٤م.

ثالثاً: آثار الإلحاد السيئة على الفرد والمجتمع.

يمكن تقسيم آثار الإلحاد إلى قسمين:

القسم الأول: آثار الإلحاد على مستوى الفرد:

١- الانحراف عن الفطرة: فإنكار وجود الخالق جلّ وعلا يتناقض مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ ولهذا فالملحدون خارجون عن الفطرة السليمة ومقتضياتها، وأهمّها: الاستقامة على الطريقة الصحيحة عقدياً وتربوياً وفكرياً وثقافياً واقتصادياً، وغيرها من المجالات الحيوية التي تقوم عليها مصالح الفرد والمجتمع، ولا شك أن السير على الفطرة ومقتضياتها جلبُ للمصالح، والانحراف عنها جلب للمفاسد، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- الاضطراب والتذبذب النفسي: إن إنكار الخالق سبحانه وتعالى يلحق بالملحد عذاباً نفسياً وقلقاً روحياً وضيقاً لا مثيل له؛ قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ ضَيْقِ الصَّدْرِ: الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فإن من أحبَّ شيئاً

غير الله؛ عُدِّبَ به، وسُجِنَ قلبُه في محبَّة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشاً، ولا أتعب قلباً»^(١).

ومن أبرز العذاب النفسي الذي يواجهه الملحد: الإقبال على جريمة الانتحار، فمثلاً سويسرا من أغنى الدول، ويمتاز شبابها بالثقافة والعلم، بلغت نسبة التعليم فيها ما يقارب ١٠٠٪، وهي من أعلى عشرة دول دخلاً للفرد بالعالم، ويمتاز اقتصادها بالثراء، لاسيما وأنها تعتمد على التكنولوجيا في الصناعة، ولكن رغم ثرائها وثراء شعبها؛ فإن الكثير من شبابها يُقدمون على الانتحار بسبب الاضطرابات النفسية والشذوذ الجنسي، كما أن معظمهم يعاني من الضياع وعدم الترابط الاجتماعي في حياتهم، هذا إلى جانب الخواء النفسي، حيث يشعر الشباب بالخواء الروحي، وهو من أهم الأشياء التي تكوّن شخصية الفرد، ولاسيما أن الشباب في أوروبا هجروا الدين، وأصبح الشاب المتدين في قاموسهم إنساناً شاذاً، حتى إن الكنائس أصبحت شبه مهجورة، ولا يرتادها سوى بعض العجزة والأسر الفقيرة^(٢).

٣- العذاب في الدنيا والآخرة: فالملاحدة والمنحرفون عن دين الله، يواجهون العذاب في الدنيا قبل الآخرة، لأنهم يصدّون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة كي لا يتبعها أحد، وهم بلقاء الله في الآخرة كافرون جاحدون، لا يصدقونه ولا يؤمنون به، فلهذا لا يبالون بما يفعلون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حساباً ولا عقاباً، فهم شر

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٢٥).

(2) www.swissinfo.ch/fre/désespérance_en-baisse...suicide.../36673392

الناس أعمالا وأقوالا؛ قال جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال: ﴿وَلَنُعَذِّبَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

القسم الثاني: آثار الإلحاد على مستوى المجتمعات:

١ - المجتمعات الملحدة والكافرة محرومة من نعمة الهداية:

فإنكار وجود الله تعالى يتضمّن رفض هدايته؛ فتكون المجتمعات الملحدة محرومة من هداية الله تعالى، محجوبة عن توفيقه للاستقامة على نهجه ودينه القيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وأيضاً محرومة من الخير الذي أنزله الله على رسله عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

قال صاحب «أضواء البيان»: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المتقين إذا سُئِلُوا عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ قالوا: أَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرًا؛ أي رحمة وهدى وبركة لمن اتبعه وآمن به، ويفهم من صفة أهل هذا الجواب بكونهم متقين؛ أن غير المتقين يجيبون جواباً غير هذا، وقد صرح تعالى بهذا المفهوم في قوله عن غير المتقين وهم الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]»^(١).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (٢/ ٣٧٠).

٢- إحلال العقوبة بالمجتمعات الملحدة:

قصّ علينا القرآن الكريم جملة من العقوبات التي حلّت بالأمم نتيجة إلحادها وبعدها عن الله تعالى، فذكر أنواعاً من البلاء الذي أصابها وسحقها وأتى عليها، قال الله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فلو استقامت المجتمعات الإنسانية على الطريقة القويمة وهي شرعة الله، لفتح الله عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، ومفهوم ذلك أن من لم يستقم على الطريقة فقد يكون انحرافه أو شركه أو إلحاده موجباً لحرمانه من نعمة الله تعالى عليه، وما أشبه الليلة بالبارحة، فيما يعيشه العالم الإسلامي اليوم بين الاتجاهين المتناقضين الشيوعي والرأسمالي، وما أثبتته الواقع من أن المعسكر الشيوعي الذي أنكر وجود الله وكفر بالذي خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلاً؛ فإنه وكل من يسير في فلكه مع مدى تقدمه الصناعي؛ مفتقر لكافة الأمم الأخرى في استيراد القمح، ومن يطلع على أحوال المجتمعات الشيوعية الملحدة والعلمانية المتطرفة، مع مدى تقدمهم الصناعي والتكنولوجي، والمجتمعات التي سارت على دربهم، اقتصادياً وتربوياً واجتماعياً وفكرياً، لم يرَ فيهم إلا الاضطراب والقلق والتذبذب، بسبب ظلمة الإعراض عن الله سبحانه وتعالى، وظلمة الإلحاد الذي فشا في حياتهم اليومية، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا﴾ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

المبحث الثاني

الانحلال الأخلاقي وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع

الشباب حينما تتضح أمامه المثل العليا، فلا شك أنه يصبو إليها، ويتمسك بمكارمها، ويهتدي بنبراس حياة عظماء رجالها، ويسير في حياته على ضوء هذه المثل الراقية والتميّزة، فيستنير أمامه طريق الحياة الكريمة السعيدة التي اهتدى بها سلفنا الصالح من العلماء والأخيار عبر التاريخ، وعندما نؤرخ للغزو الثقافي والخلقي الذي قامت به الدول الغربية معتدية على بعض الدول الإسلامية في أيام ضعفها وتفككها، نجد أن الاستعمار الغربي حاول إبعاد الشباب عن هذه المثل العليا ومكارم الأخلاق، وتوصل إلى ذلك بعدة طرق منها:

- حذف دراسة الدين من المدارس الإسلامية.
- العمل على إضعاف اللغة العربية التي توصل إلى فهم الدين فهماً صحيحاً.
- جعل دراسة التاريخ الإسلامي صورية شكلية، منحصرة في عنصر الخلاف بين المسلمين، والطوائف والفرق والمذاهب؛ لتفريق الأمة الواحدة المقصودة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

والاستعمار يقصد من وراء هذا؛ أن يحول بين الشباب وبين المثل العليا التي اعتزّ بها الإسلام وساد بها المسلمون، فنجد المدرسة الاستعمارية تعمل جاهدة عبر وسائلها الإعلامية المتطورة، على نشر ثقافتها الإلحادية وتشكيك الشباب في عقيدته، فإذا انهارت العقيدة الصحيحة انهار كل شيء في الحياة، ثم ها هو تيار الانحلال الخلقي يسير بعنف، ويغزو الشعوب الإسلامية غزواً مروعاً في الأفراد والأسر والجماعات، وكان من آثاره ومظاهره ما نراه في بعض الشباب من ميوعة

وتحلل، وفي التقاليد التي يحاكيها، وحرص بعض النساء على تقليد الأجانب في الأزياء والعادات؛ هذه كلها مظاهر تدل على ظلام التفكير وفقدان المثل العليا التي تبعث النور وتهدي إلى الخير والحق والفضيلة^(١).

وهذه المظاهر تدل على أن هناك مؤامرة واسعة النطاق على الأخلاق الإسلامية تنزعها الشيوعية الملحدة والصهيونية العالمية والعلمانية المتطرفة، تجتهد في نشر الثقافات والأفكار والمبادئ الهدامة، عن طريق الوسائل الإعلامية الحديثة والمتطورة، وتروج لمظاهر التحلل والفسوق والفجور على مستوى الفرد والأسرة والجماعة، فتعثر الحياة أمام بعض الشباب المسلم الذي فقد المثل العليا المتمثلة في مكارم الأخلاق، فهو يتخبط في سيره في الحياة لا يعرف المبادئ الكريمة، وليس أمامه صورة كريمة، ومثال خلقي يسير على ضوئه ويقتدي به، فهو يسير في درب مظلم مملوء بالاضطرابات والمتاهات والمغريات المادية، سريع الزلل قريب الكبوة، يتخبط في ظلمات الحياة، بعضها فوق بعض، فإلى أين يسير وقد فقد نور الله؟ والله المستعان.

وللأسف الشديد فإن الكثير من أجهزة الإعلام في بعض الدول العربية والإسلامية، لا زال يتردى في خيوط هذه المؤامرة الكبرى الموجهة ضد الأخلاق الإسلامية، وتتجمع خيوط هذه المؤامرة في إشاعة الإلحاد ونشر الانحلال الخلقي، تارة عن طريق كتب الجنس الفاضح المكشوف، وتارة أخرى بطريق إرسال الأغاني الفاجرة الماجنة التي تحطم أقدس معاني الشرف والحياء

(١) المثل العليا للشباب، للشيخ محمد المهدي محمود، المدرس بدار الحديث بالمدينة التابعة لجامعة الإسلامية، العدد: ١٢، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، موقع الجامعة على

والفضيلة، وتدعو إلى التحلل والفسوق والفجور، عن طريق الأفلام والروايات والمناظر السينمائية التي تجسم الرذيلة، وتغري بالتردي في حياة الانحراف الخطير، ومن آثارها السيئة تشجيع الشذوذ الجنسي، والزواج المثلي، الذي أصبح في كثير من الدول الغربية مسموح به، ومشروع بموجب مواد قانونية.

وكل هذه المصائب ناتجة من عدم التمسك بالدين وبالشرع الحكيم الذي هو نور من الله، وعصمة لبني البشر من الترددي في مهاوي الظلام والهلاك، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

المبحث الثالث

سبل معالجة الإلحاد والانحلال الأخلاقي

النبي ﷺ بعثه الله ﷻ نبياً ورسولاً ليتمم مكارم الأخلاق، ويضيف إلى الإنسانية الكثير من المعاني السامية، والمثل العليا، والبعد الأخلاقي في مبادئه ﷺ وواضح المعالم بلا مراء، سواءً في السلم أو الحرب، وقد مدحه الله سبحانه وتعالى فقال في محكم التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقد سُئِلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(١).

ومسؤولية معالجة الإلحاد والانحلال الأخلاقي، واقعة على أولياء الأمور جميعاً؛ وعلى جميع المستويات والأجهزة التي لها علاقة بتربية المجتمع وتعليمه وتثقيفه، بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالمدرسة والجامعة والمسجد، لقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته»^(٢).

وحتى العلماء استرعاهم الله سبحانه وتعالى إفشاء العلم والخلق الحسن، وإسداء النصيحة لولاة المسلمين وعامتهم، والله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظه أم ضيعه؟ قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ٢، ١٧٧٣/١٦٨)، وهو من أفراد اللفظ له، وأبو داود (ح: ١، ١٣٤٤/٥١٢)، والنسائي (ح: ١٦٠١، ١٩٩/٣)، وابن ماجه (ح: ٢٣٣٣، ٢/٧٨٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها، والروايات مطولة ومختصرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٨٥٣، ١/٣٠٤٩)، ومسلم في صحيحه (ح: ٤٨٢٨، ٢٣/٣٥٤).

ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وما نشاهده اليوم من الانحلال الأخلاقي، كارثة تنذر بالخطر على الأمة جميعاً؛ فالبلاء إذا نزل يعمّ الصالح والطالح؛ قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وعقد بيده عشرة، قلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم؛ إذا كثرت الخبث»^(٢).

ورغم أننا لا ننكر جهود المؤسسات الدعوية والتربوية، المتمثلة في أمن المجتمع ومقتضياته، إلا أن بعض وسائلنا الإعلامية تغاضت عن دورها المناطِ بها في نشر الخير والفضيلة، وغرس القيم والأخلاق الكريمة في نفوس شبابنا، وانجرفت وراء الماديات وكسب المال عبر الإعلانات وغيرها، والأدهى والأمرّ أنها سعت في هدم القيم والأخلاق لدى الشباب المسلم بما يبثونه من مواد فاسدة، وسُفور فاضح، ومسلسلات ماجنة تعمل على إثارة الشهوات وطمس الفضيلة وتشجيع الرذيلة، وتناست وظيفتها السامية في نشر ودعم التربية الأخلاقية المنوطة بها، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ٢٠٥، ١/٥٣).

(٢) البخاري في صحيحه (ح: ٣١٦٨، ٣/١٢٢١)، ومسلم في صحيحه (ح: ٧٤١٦، ٨/١٦٥).

وينبغي أن تتضافر جميع جهود المؤسسات الحيوية التي تنشط في المجتمع، وفي مقدمتها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وذلك لتحقيق ما يلي:

- الوقوف بكل عزيمة وإرادة في وجه التيار الجارف المتمثل في المؤامرة الكبرى في إشاعة الإلحاد ونشر الانحلال الأخلاقي، الذي يسعى لاقتلاع الإسلام وقيمه ومبادئه من قلوب المسلمين، بل ويؤدي إلى فقدهم لهويتهم، وذوبانهم في المجتمعات الغازية التي تقوم على الكفر والإلحاد والتحلل من القيم والمبادئ والأخلاق.

- التكفل بالشباب وقضاياها، والعناية به عناية كاملة وشاملة، عقدياً وتربوياً وتعليمياً وثقافياً، وتجعله من بين أولوياته، فتوجه حميتهم توجيهاً سديداً، وترشدتهم إلى سبل الخيرات، وترسخ فيهم دعائم الإيمان وفضائل الأخلاق، لأن هؤلاء الشباب هم قادة الغد ورجال الأمة وأمل المستقبل، وبهم تنهض المجتمعات وترفع الأمجاد.

ولبلوغ هذا الأهداف الاستراتيجية والغاية النبيلة، ينبغي أن نحرص على ما يلي:

أولاً: دراسة السيرة النبوية دراسة مستفيضة وشاملة، نستلهم من وقائعها وأحداثها، الدروس والعبر، مما كان عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم، من مكارم الأخلاق العطرة والشمائل الزكية، فهو القدوة الحسنة، وقد أمرنا ربنا باتباعه والتأسي به عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثانياً: إعادة دراسة التاريخ الإسلامي في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا دراسة مستفيضة، مع إبراز الجانب الخلقى والتعبدي في حياة رجال الأمة الإسلامية، ليكونوا بالفعل قدوةً لشبابنا.

ثالثاً: تطهير أجهزة الإعلام في جميع الدول العربية والإسلامية من آثار الانحلال الخلقي المتمثل في إذاعة الأغاني الخليعة الفاجرة، والأفلام والصور العارية، والثقافات المنحرفة والمنحلة.

رابعاً: ينبغي مشاركة الأسرة في منظومة الوقاية ضد الإلحاد والانحلال الأخلاقي، فمهما تطورت المؤسسات الرسمية؛ فليس بمقدورها وحدها الوقوف في وجه هذا التيار الجارف، وأن تحول دون وصول هذا الغزو إلى عُقر دارنا، فلا بد للأسر والأفراد من المقاومة ووقف آثار هذه الحرب الشرسة التي لا تُبقي ولا تذر، ومن أهم أسلحة المواجهة: ضرورة تحكُّم الأسرة في فترات استعمال هذه الأجهزة، وتحديد المواد الصالحة من غيرها، وعدم السماح لأبنائهم بالاطلاع أو مشاهدة هذه المواد المعروضة دونما ضابط أو رقيب.

خامساً: تثقيف المرأة ثقافة دينية شاملة، وتعريفها بالدور المنوط بها في استقرار الأسرة والمجتمع، فتدرك رسالتها الفطرية التي فطرها الله عليها، والتي تتلخّص في الأمور الآتية: سعادة الزوج، ورعاية الأسرة، والعناية بالطفل، وبذلك تكون المرأة معول بناءٍ وتأسيس لأخلاق المجتمع الإسلامي، لا معول هدمٍ وأداة لإهدار القيم الخلقية.

وفي كلِّ هذا ينبغي التنويه بكل أمانة وصدق إلى أن الأمة الإسلامية في غالبيتها، لازالت تحمل الوعي الكافي بقضية الأخلاق، ويشهد الواقع بذلك يوماً بعد يوم، حيث تكثر المراكز الدعوية والمؤسسات التربوية؛ لرعاية الشباب واحتوائهم من مخاطر الإلحاد والانحلال الأخلاقي، وما ذلك إلا لأنها تتميز بسُمُو الأخلاق وفضائله ومكارمه، قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

المبحث الرابع

ظاهرة الإلحاد في الإعلام الجديد

أولاً: تحليل ظاهرة الإلحاد في الإعلام الجديد

لا شك أن الإعلام الجديد، بمختلف مكوناته السمعية والبصرية والمكتوبة، وهو ما اصطلح على تسميته بالإعلام الرقمي، يُعدُّ من أبرز ما يواجهه الملايين من الشباب المسلم يومياً، وفي شتى المجالات الحيوية.

ولأهمية هذه البرامج الرقمية، أصبحت شهرتها واسعة، وكثر التعامل معها بين الناس؛ حيث أتاحت لمستخدميها إنشاء مدونات الإلكترونية، وإجراء المحادثات، وإرسال الرسائل، كما أتاحت مشاركة الصور ومقاطع الفيديو والملفات، ويسّرت للمستخدمين نشر ملفات، والكتابة حول موضوعات محددة من الممكن أن تدخل ضمن دائرة اهتمام مشتركين آخرين، وتمكنهم من التعليق على تلك المواضيع وإبداء آرائهم فيها.

١- وهذا الإعلام الجديد، لا يوجد له في حقيقة الأمر ضوابط تضبط به كيفية الاستفادة منه، ولا توجد وسائل أو طرق محددة يتقي منها المستخدم الشرور التي قد تصل إليه عنوة، أو حتى لا يوجد منهج محدّد لإفادة الغير في الاتقاء من هذه الشرور، وممّا يزيد الأمر تعقيداً أنها أصبحت من الأمور الحتمية، نظراً لانتشارها المتزايد والإقبال الشديد عليها من الشباب، كما أنها أنشأت بيئة أكثر ثراء في المحتوى المعلوماتي عند فئة الشباب، ولكن مثلها مثل أي من الاختراعات الحديثة فإن لديها من الإيجابيات كما لديها من السلبيات.

ومن أخطر سلبياته، ظاهرة الإلحاد، التي أصبحت تحت تأثير هذا الإعلام، عبر مختلف وسائله الحديثة والمتطورة، في ظل أجواء محمومة ومليئة بحملات التشكيك، وتشويه الدين.

ولا شك أن هذه الموجة الإعلامية عبر هذه الشبكات التواصلية الاجتماعية، هدفها هو نشر الشكوك وإثارة التساؤلات والشبهات، لدفع الناس للابتعاد عن الدين، بقصد إضعاف المجتمعات الإسلامية، فأدى ذلك إلى تزايد الإلحاد عند فئة من الشباب مع تزايد الانحلال الأخلاقي.

وسأذكر مثالا في هذا الشأن، وأنقله كما جاء من موقع «الإلحاد»، وهو متداول على صفحات الفيسبوك، والموضوع يدور حول تعليقات بعض الملحدين على الآيات القرآنية المتعلقة بقصة آدم عليه السلام وإبليس:

* ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ ﴾ [الحجر: ٣٤].

- قال الملحد-: «تكبر إبليس، ورفض السجود لآدم، فطرده الله من رحمته ومن الجنة».

* ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ [الحجر: ٣٥-٣٧].

- قال الملحد-: «تنكر إبليس في جسد الأفعى ليتمكن من دخول الجنة مجدداً وخدع حراس الجنة فدخل فعلاً، وكان هدفه إقناع آدم بأكل الثمار المحرمة، لينزل من الجنة وليطفئ نار حقه، كل هذه الفترة وكان الله.. «غافلاً»، لا يدري بدخول إبليس الجنة ولا بما توسوس نفس إبليس له، فوصل لآدم وأغواه، فأكل الثمار، وهنا «انتبه» الله وغضب بشدة، فأنزل آدم من الجنة، ليختبره هو وذريته، من منهم يدخل الجنة ومن يدخل النار، فترجى إبليس ربه

ليتركه على الأرض مع ذرية آدم ليغوي منها بقدر ما استطاع، وسمح له الله بذلك، وبالمناسبة.. لعن الله الأفعى التي ساعدت إبليس على دخول الجنة، فقبحها ولعنها وأنزلها من الجنة، وأصبحت بشكلها الحالي.

فكر قليلاً.. لماذا لم ينتبه الله لإبليس عندما تنكّر ودخل الجنة وهو يقصد الشر في نفسه؟ ولكن انتبه حين وصل لآدم وأغواه بأكل الثمار؟ سيقول المؤمن «لحكمة يعلمها الله»، أعزائي.. اعملوا عقولكم الأمر ليس معقداً، أي حكمة؟! ألا يبدو الأمر هياً الظروف لإبليس وانتظر الخطأ من آدم؟! [#يضحكون_عليكم...]، انتهى كلام الملحد^(١).

أقول: لا ريب أن مثل هذه الشبهات والشكوك المثارة قائمة على سلسلة من المغالطات والخلط بين المعطيات القرآنية والأساطير التوراتية، لكنها قد تدفع بالشباب الغر ل طرح أسئلة عقلية ومشروعة، وقد تبقى عالقة في صدورهم إلى أن يجدوا الجواب المقنع، خاصة وأنهم في مراحل عمرية مبكرة، وعليه ففتح قنوات التواصل مع الشباب عبر الإعلام الرقمي من طرف المتخصصين أصبح من الضروريّات^(٢).

٢- ولا ريب أن السبب الرئيسي في تنامي ظاهرة الإلحاد يرجع إلى:

- الحرية المتاحة للشباب في استخدام والتعامل مع هذه المواقع، بدون ضوابط: حيث أفرز الإعلام الجديد عدة معانٍ للحرية التي أتيحت لفئة الشباب، فأصبح في هذا الفضاء الواسع يستقي معلوماته وقيمه واتجاهاته من الإنترنت، عبر مختلف التطبيقات؛ دون أن يكون لديهم القدر الأدنى

(١) الإلحاد/ www.facebook.com/pages/الإلحاد

(٢) وسيأتي الحديث عن هذه النقطة الحساسة في ص: من هذا البحث.

من الاستعداد الديني لمواجهة ما فيها من شبهات وتحديات إلحادية.

- والسبب الثاني هو الانفتاح الإعلامي على الثقافة الغربية المادية، التي تميل بطبيعتها للإلحاد وإنكار وجود الذات الإلهية، ولا شك أن مجرد الدخول في هذه المواقع الالكترونية الإلحادية، دون وجود أسس عقديّة إسلامية صحيحة ومتينة، يجعل الشباب المسلم لقمة سائغة للوقوع في فخ هذه الظاهرة، من منطلق أن انتفاء وجود الذات الإلهية وسقوط مبدأ الثواب والعقاب الإلهي من عقولهم، سيجعل كل أمور الدنيا في نظرهم عبثاً في عبث، ولا داعي أمامهم لأية التزامات أخلاقية أو ما شابه ذلك، فأدى هذا الأمر إلى التشتُّت، وانتشار الإلحاد والانهلال الأخلاقي لبعضهم، والله المستعان.

وسأذكر على سبيل المثال في هذا المجال بعض الصفحات الإعلامية التي تتناول موضوع الإلحاد، من حيث الدعوة لأفكاره أو التصدي له ومحاربتة، ويتم تداولها في مواقع التواصل الاجتماعي:

أ- فمنها ما يتضمّن الدعوة للإلحاد:

- كموقع «الإلحاد دين العقل»^(١).

- وموقع «الإلحاد هو الحل (Atheism is the Solution)»^(٢).

- وموقع «الإلحاد»^(٣).

(1) www.facebook.com/alilhadden?fref=ts / twitter.com، الإلحاد دين العقل

(٢) الإلحاد- هو- الحل / <https://www.facebook.com/pages/>، twitter.com/il7ad?lang=fr ،

(٣) www.facebook.com/pages/ الإلحاد

وهذه المواقع وغيرها، أنشأت من أجل بث أفكار الإلحاد، وذلك بنشر الشكوك والشبهات حول موضوع أصول الدين، والطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب- ومنها المتخصصة في مناقشة الأفكار الإلحادية والرد عليها، بالمنقول والمعقول:

- كموقع «أكبر صفحة لمقاومة ظاهرة الكفر والإلحاد»^(١).

- وموقع «الصفحة الشبكية للرد على الملحدين العرب»^(٢).

- وموقع «براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية»^(٣).

ج- ومنها المواقع المتضمنة تثبيت الإيمان وترسيخه في قلوب المسلمين:

- كموقع «الصفحة الرسمية لنقد نظرية التطور وحقيقة الخلق»^(٤)، ومثل هذا الموقع فإنه يساهم في تثبيت الإيمان وترسيخه، ففيها من الأدلة العقلية والعلمية على حقيقة الخلق، وإبطال نظرية التطور الداروينية القائلة بأن الإنسان ما هو إلا حيوان من جملة الحيوانات، حادث بطريق النشوء والارتقاء، وأنه لمشابهته القرد، لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد.

- وموقع «أروع قصص من أسلموا حديثاً»^(٥)، وهو موقع كغيره من

(1) www.facebook.com/contreatheisme

(2) www.facebook.com/radd.ilhad

(3) www.facebook.com/braheen.org?fref=ts

(4) www.facebook.com/creation.evoulution.18

(5) www.facebook.com/Islamconvertingstories

المواقع في هذا الشأن، فإنه يتميز بقصص لأناس أسلموا عن اقتناع، وهي مفيدة جداً لتثبيت الإيمان عند المسلم عموماً والشباب خصوصاً، كما يمكن استخدامها لدعوة غير المسلمين، فهي بحق وسيلة من الوسائل الدعوية المؤثرة في باب الدعوة إلى الله.

٣- نعم نستطيع القول أن ظاهرة الإلحاد قد تنامت بشكل مروّع ومقلق، ولكن مادام الإلحاد مجرد أفكار عقديّة شاذّة، ومخالفة للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهو قابل للنقد، وقابل للدحض، وقابل للزوال، ومن شأنه أن يكون كذلك ليكون للإيمان معنى، وللحياة مغزى، فهو قدر كوني يستخرج الله به معاني الصبر والجهاد والمجاهدة، وليميز الله الخبيث من الطيب، كسائر أقدار الله الكونية، على طريق تحقيق إرادته الشرعية؛ فهو منحة ربانية للمؤمنين؛ تجمع شملهم، وتجدد إيمانهم، وتقوي شوكتهم، ممّا يلزم المخلصين من هذه الأمة الوقوف بكل قوة وحزم للتصدّي لها، امثالاً لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقول النبي ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

وعليه فلا بدّ من إرساء قواعد ثقافية راسخة في التعامل مع هذا الواقع الإعلامي الجديد في تحصين شبابنا، عقدياً وفكرياً وأخلاقياً واجتماعياً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٨٥٣، ١/٣٠٤)، ومسلم في صحيحه (ح: ٤٨٢٨، ٦/٧)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ثانياً: كيفية توظيف الإعلام من قبل الشباب المسلم في تثبيت الإيمان، والرد على الملحدين:

لا شك أن الإعلام الجديد أصبح أمراً واقعياً، ومن الحتميات التي لا مفرّ منها، نظراً لانتشاره المتزايد والإقبال الشديد عليه من طرف الشباب، وهذا ما يفسّر أن التحدي الأكبر الذي يواجه الشباب المسلم في المستقبل القريب، هو العمل على نشر الوعي في كيفية الاستفادة من الإعلام الجديد، وترشيد استخداماته، والإسهام في وقاية الشباب المسلم من ظواهره السلبية، وأخطرها: ظاهرة الإلحاد، فلازم اتخاذ جملة من الإجراءات في تثبيت الإيمان عند شبابنا وحمايته وصيانتته، وفي الوقت نفسه كشف معتقدات الإلحاد والرد على شبهاته، ودحضها بالمنقول والمعقول.

ومن أهم الإجراءات التي ينبغي اتخاذها في هذا الشأن:

- ١- تفعيل برامج علمية وتربوية عن الإعلام الجديد، بالتعاون مع مراكز خاصة، يشرف عليها متخصصون في مختلف العلوم والمعارف، كالفكر الإسلامي، وعلم النفس التربوي، وعلم الاجتماع، وعلم الإعلام والاتصال وغيرها، وذلك في ورشات عمل عنوانها: «الإعلام الجديد وتحدياته»؛ ويكون المقصود من هذه العملية التربوية والتعليمية:
- زيادة الوعي بأهمية دور تكنولوجيا الإعلام الرقمي، وكيفية استخدامه، وطريقة الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية.
- وتزويد الشباب بالفرص التي تضمن لهم حرية التعبير عن أنفسهم ومجتمعهم بشكل إبداعي وناقد، من خلال الأفكار المبتكرة في هذا النوع من الإعلام.

- وترسيخ ثقافة منضبطة بالرجوع في الأمور الدينية وبخاصة العقديّة إلى العلماء الربانيين والراسخين في العلم، سواء أفراداً أو مؤسسات، ومناقشتهم فيما يُستشكل ويستغرب عليهم من الأمور الدينية، بكل صراحة ووضوح.

٢- التحلّي بجملة من الأخلاقيات والأدبيات في التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي والمستخدمين لها:

- وجوب تعظيم الله تعالى، وتعظيم كتابه، وتعظيم رسوله ﷺ، وتعظيم شعائر الله.

- وتعظيم حُرّمات المسلمين، أن يجتنب الكذب والغيبة والنميمة، ونقل الإشاعات المُغرِضة.

- ورعاية حُرمة أولي الأمر من الولاة والعلماء.

- ومن أخلاقيات التعامل مع هذه الشبكات أيضاً: السّتر على المسلمين والمسلمات.

٣- تعميق الصلة مع المراكز المهمة بجوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، كالموقع الرسمي للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة^(١)، وتكميلها بأبحاث لمواجهة الإلحاد.

- فتح مراكز متخصصة في رصد الأفكار الداعمة للإلحاد، التي تنشر في مواقع التواصل الاجتماعي، ومعالجتها من خلال اجتماع فئات من المتخصصين في المجالات الشرعية والفكرية والعلمية والنفسية.

(1) www.eajaz.org

- إظهار المباحث المهمة بالدلائل العقلية والنقلية في الكتاب والسنة، التي تبطل وترد أفكار الإلحاد بجميع أنواعه.
- العناية بالرسوخ العلمي الذي يناقش تفاصيل القضايا العقيدية والفكرية القديمة والمعاصرة، من الناحية الدينية والاجتماعية والثقافية.
- رصد القيم العلمية التي تعزز أفكار الإلحاد من خلال كشوفات العلوم الحديثة، والتي يعتمد عليها هؤلاء الملاحدة، وتوظيفها في الردّ عليهم بإضفاء الوجه الشرعي عليها وإعطائها الصبغة الدينية.
- تميم ودعم المراكز والمواقع المتخصصة في مناقشة الأفكار المنحرفة والرد عليها، وأذكر على سبيل المثال: موقع «السكينة»، وهي حملة إلكترونية تطوعية مستقلة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية انطلقت سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، وتقوم فكرة الحملة على التخصص في عالم الإنترنت، والانتشار في مواقع ومنتديات ومجموعات الانترنت، ومن أبرز أهدافها:
- كشف الشبهات التي يعرضها أصحاب الاتجاهات المنحرفة.
- فتح الحوار والنقاش في القضايا المُشكلة، بأساليب شرعية وأخلاقية راقية.
- معالجة الأسباب التي تؤدي إلى الغلو والانحراف سواء كانت فكرية أو اجتماعية أو نفسية^(١).

(1) www.assakina.com

وينبغي أن ننوّه بالمؤتمرات والندوات العلمية التي تُشّطها الجامعات والمراكز في المملكة العربية السعودية حرسها الله، لمقاومة ظاهرة الإلحاد، وأخصّ بالذكر: «ملتقى تهافت الفكر الإلحادي»، الذي نظم في العاصمة السعودية الرياض بتاريخ ٢٨-٣٠/٦/١٤٣٤هـ، حيث ناقش العديد من القضايا الهامة في الفكر الإلحادي، من أجل كشف بعض الجوانب الخفية، وتبيان وتوضيح العديد من الأمور المرتبطة به^(١).

- توظيف تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، في إنشاء مواقع علمية إسلامية موثقة على مواقع التواصل الاجتماعي، لرصد كل ما يقال أو يكتب في حق الإسلام والنبي ﷺ، ودارستها دراسة معمّقة، من طرف متخصصين في جميع المجالات، والرّد عليها بمنهج علمي، وأسلوب واضح، وبلغات مختلفة.

ثالثاً: رؤانا في هذه التجارب وكيفية تطويرها:

١- الحقيقة أنه لا بدّ من الاعتراف أن ظاهرة الإلحاد تمثّل واقعاً حقيقياً، ولهذا فإنكارها من جانب أو محاولة التصدي لها بعنف من الجانب الآخر لن يعالج أبداً هذه الظاهرة، بل لا بد من المواجهة التي تجمع بين الرفق وبين الحكمة في آن واحد، لأن هؤلاء المنحرفين عقدياً، هم من بني جلدتنا في نهاية المطاف، ويستحقون منا الاهتمام والرعاية والمناصحة، فشأنهم كشأن الشباب المغرّر بهم في التنظيمات الإرهابية، وبالتالي فنستعمل معهم أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، كما جاء

(1) <http://www.lahaonline.com>

في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١).

٢- نحن بحاجة حقا إلى متخصصين يجتهدون في هذا الأمر، لإخراج جيل كفاء من الدعاة ورجال الدين القادرين والمؤهلين لإيجاد بيئة إيجابية تتعامل بأريحية واقتدار فكري واجتماعي مع الجيل الجديد، الذي لديه الكثير من التساؤلات العقلية الشبابية الملحة حول الذات الإلهية، وحقيقة الخلق والكون والأمور الغيبية.

والواقع الذي نتأسف له، أن هناك نماذج من الشخصيات الدينية، وبالأخص الإعلامية، التي تظهر في مواقع التواصل الاجتماعي، قد تحولت إلى قوة سلبية منفرة، شوّهت الدين عن قصد أو عن غير قصد، وذلك:

- بالتطرف في طرحها للمواضيع الحساسة، وحدتها وشدتها في تحليل الأحداث والمناقشات مع المخالفين.

- أو بإحضار مدعى المشيخة بغير أهلية أو ضعيف الحجّة والبيان، وإقحامه في حوار مع شخص له توجه فكري مخالف للدين، وله أسلوب في الطرح وهدوء في التعامل مع الغير، وعند المقارنة بين الشخصيتين، تظهر قوة الملحد البيانية والمنطقية، وما ذلك إلا لضعف حجّة صاحب الفكر الإسلامي، لا غير.

(١) رواه مسلم في صحيحه (ح: ٦٧٦٧، ٨/ ٢٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

فمثل هذه النماذج تكون قد قدمت للناس إسلاما غير مقنع، مما يساهم حتما في ابتعاد الشباب عنها، ومن ثم الابتعاد عن الدين جملة وتفصيلا، والبحث عن بديل آخر، يظنون أنه أكثر احتراما للعقل والإنسانية وقيمة البشر.

٣- تفعيل الجهود الجماعية في التصدي لظاهرة الإلحاد: لا شك أن ما يحدث في الساحة اليوم من جهود في التصدي للملاحدة، إنما هي مبادرات فردية محدودة، والقضية تحتاج لوقفه مجتمعية عامة، ولا تترك لفرادى الدعاة واجتهادات طلبة العلم العشوائية، على فضلها ونفعها، ولكنها محدودة التأثير.

فلا بد من استراتيجية جماعية في هذا الملف تتبناها المؤسسات الشرعية في البلاد الإسلامية، وتقوم بدورها وواجبها في حماية الدين ومقوماته، فكما قام أولوا الأمر من حكام ودعاة بحملة ضد التطرف الديني، وكشف منابعه وجذوره، أيضا اليوم بإمكانهم التصدي لظاهرة التطرف المضاد المتمثل في هؤلاء الملاحدة الجدد، الذين يجدون اليوم في نشر فكرهم، بين شبابنا المسلم. وعلى هذا الأساس ينبغي وضع خطة استراتيجية في العالم العربي والإسلامي، لحملة مركزة ضد الإلحاد، والاستعانة بخبراء متخصصين في رسم الخطط، إن كان بإنشاء مراكز متخصصة في محاوره الشباب، وإشهارها إعلاميا كي يسهل الوصول لها، أو بث برامج تلفزيونية في القنوات العامة، لا تقوم على المواعظ وسوق الآيات والأحاديث، بل على مناقشة عقلية صرفة، في وجود الخالق، ونبوة سيدنا محمد، ﷺ، وكافة الشبهات التي تشل عقل الشاب والفتاة^(١).

(1) <http://www.assakina.com/news>

٤- فتح قنوات التواصل مع الشباب عبر الإعلام الرقمي، للإجابة عن الأسئلة المشروعة للعقل، وألا نقابل ذلك بالرفض والمنع، لأن المؤكّد أن عقلية شباب اليوم لا يمكن أن تقبل بمثل هذا النهي والزجر، ولا أن تقبل أن يفرض عليها أحد قواعد مسبقة لمساحات التفكير والأسئلة الممكنة، لأن ذلك سيولّد الشكّ والنفور والرفض في نفوسهم، وربما يقودهم ذلك إلى الإلحاد شيئاً فشيئاً، من باب أن أسلوب الترهيب من مغبة التفكير والتساؤل في مثل هذه الأمور، قد يولّد وللأسف ردّة فعل عكسية في هذا المجال الحساس.

٥- تطوير الأدوات والآليات والمناهج في صياغة الخطاب الديني، جمعاً بين الأصالة والمعاصرة:

والمقصود من ذلك أن عدم مواكبة أطروحات التكنولوجيا الجديدة في الخطاب الديني، والتحديات التي يفرضها العصر، اقتصادياً وثقافياً وتربوياً، خصوصاً فيما يتعلق بمجال الإعلام الجديد بوسائله المختلفة، يكون سبباً في انخفاض مستوى التدين في المجتمع بشكل لا يوفر لأفراده المناعة أو الحصانة ضد الأفكار الواردة والوافدة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بما فيها الإلحاد والانحلال الأخلاقي، وهذا الانخفاض في التدين قد يكون على صورتين:

- الأولى: في انخفاض مستوى العلم بالدين والتفقه فيه بين الناس، وما ذلك لأن معظم الشباب أصبح يميل للإعلام الجديد أكثر ممّا يميل إلى الطرق التقليدية في تلقي العلوم.

- الثانية: في انخفاض مستوى الالتزام بالطاعات ومراقبة الله في الأفعال والسلوكيات بين عوام الناس، وفي مثل هذا المجتمع الهش دينياً يسهل

على أفكار الإلحاد أن تتسرب بكل سهولة إلى عقول وقلوب الشباب الذين لم ينشئوا على علم بالدين أو استحضار مراقبة الله في سلوكياتهم.

ولا يعني هذا الكلام أن أبناء الأسر المتديّنة سيكونون محصّنين ضد خطر الإلحاد والانحراف، بل الواقع أنه إذا كان المجتمع الخارجي في عمومه متحجراً دينياً وغير قادرٍ على مواجهة الأفكار المنحرفة، ويسود فيه الجهل بالدين وعدم الالتزام به عملياً وسلوكياً، فليس هناك حصانة حقيقية وفعالية لأبناء الأسر المتديّنة، بل هم عرضة أيضاً للوقوع في الإلحاد وسائر الانحرافات كغيرهم^(١)، والله المستعان.

٦- تفعيل مادة: «الإعلام الجديد وتحدياته»، على مستوى البرامج التربوية والتعليمية:

ونظراً لأهمية المنظومة الإعلامية عموماً، والإعلام الجديد خصوصاً، أصبح لزاماً على أهل الحَلِّ والعقد والمسؤولين عن هذا الأمر في الدول الإسلامية، أفراداً وجماعات ومؤسسات، الاهتمام بواقع الإعلام الجديد، ووضعه في إطاره الصحيح، وتفعيله على مستوى البرامج التربوية والتعليمية والإعلامية، كمادة تربوية وتعليمية تدرس للتلاميذ خلال الأطوار الثلاثة، الابتدائي والمتوسط والثانوي، بقصد إرساء ثقافة راسخة، بعليهم كيفية الاستفادة من الإعلام الجديد وترشيد استخداماته والتعامل معه.

٧- تفعيل دور الأسرة وإقحامها في المنظومة الوقائية ضد الإلحاد والانحلال الأخلاقي، بعدم منح الثقة بشكل مطلق للشباب أو الفتاة،

(١) الإلحاد في العالم العربي، د. هشام عزمي، مجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة، العدد الثاني، رجب ١٤٣٥ - مايو ٢٠١٤.

وبالذات في المرحلة العمرية فئة الشباب، والتي قد يستخدمها البعض منهم بشكل سلبي، بل لا بد من وضع حدود، وضبط فترات استعمال الأجهزة الإلكترونية، وتحديد المواد الصالحة من غيرها، وعدم السماح لأبنائهم بالاطلاع أو مشاهدة هذه المواد المعروضة دونما ضابط أو رقيب، وفتح باب النقاش معهم في المواضيع الحساسة، وذلك كل ما اقتضى الأمر.

الخاتمة

لقد اهتم الإسلام بالشباب اهتماماً جاداً، ووجّه حميتهم توجيهاً سديداً، وأرشدهم إلى سبل الخيرات، ورَسَخَ فيهم دعائم الإيمان وفضائل الأخلاق، وذلك لأن الشباب هم قادة الغد، وأمل المستقبل، وعلى أكتافهم تقام الحضارات، وتُرفع الأمجاد، وفي واقعنا المعاصر أصبحت المجتمعات العربية والإسلامية وشبابها؛ تحت تأثير إعلام جديد مفتوح، وأجواء محمومة مليئة بحملات التشكيك وتشويه الدين عبر مختلف وسائله الحديثة والمتطورة، وبالأخص الإلكترونية كشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، التي انتشر استخدامها انتشار النار في الهشيم، وهناك من يتعمد نشر هذه الشكوك عبر هذه الشبكات وإثارة التساؤلات، لدفع الناس للابتعاد عن الدين، وإضعاف المجتمعات الإسلامية.

وهذه المظاهر تدل على أن هناك مؤامرة واسعة النطاق على الأخلاق الإسلامية، تزرعها المنظومة العالمية للفكر الإلحادي المتمثل في الشيوعية الملحدة والصهيونية العالمية والعلمانية المتطرفة، التي تجتهد ليلاً ونهاراً في نشر الثقافات والأفكار والمبادئ الهدامة، كإشاعة الإلحاد ونشر الانحلال الأخلاقي، والترويج لمظاهر التحلل والفجور على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وللأسف فإن الكثير من أجهزة الإعلام في بعض الدول العربية والإسلامية، لا تزال تتردى في خيوط هذه المؤامرة الكبرى الموجهة ضد الأخلاق الإسلامية.

وهذه الأوضاع الصعبة سبب في تعثر الحياة أمام الشباب المسلم، إذ طمست أمامهم معالم المثل العليا، فتخبّطوا في سيرهم، لم تعد أمامهم صورة

كريمة ومثال خلقي يسرون على ضوئه ويقتدون به، فهم يسرون في درب مظلم مملوء بالاضطرابات والمتاهات المادية، وهذا ناتج عن عدم التمسك بالدين والشرع الحكيم الذي هو نور من الله وعصمة للبشر من التردّي في مهاوي الظلام والهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ولا ريب أن مسؤولية معالجة الإلحاد والانحلال الأخلاقي، واقعة على أولياء الأمور جميعاً؛ وعلى جميع المستويات والأجهزة التي لها علاقة بتربية المجتمع وتعليمه وثقافته، بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالمدرسة والجامعة والمسجد، لقول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»، فينبغي أن تتضافر جميع جهود المؤسسات الحيوية التي تنشط في المجتمع، وفي مقدمتها وسائل الإعلام المتنوعة، المرئية والمسموعة والمقروءة، لتحقيق ما يلي:

- الوقوف بكل عزيمة وإرادة في وجه التيار المتمثل في المؤامرة الكبرى في إشاعة الإلحاد ونشر الانحلال الأخلاقي، الذي يسعى لاقتلاع الإسلام وقيمه ومبادئه من قلوب الشباب، بل ويؤدي إلى فقدهم لهويتهم، وذوبانهم في المجتمعات الغازية التي تقوم على الكفر والإلحاد والتحليل من القيم والمبادئ والأخلاق.

- التكفّل بالشباب وقضاياها، والعناية به عناية كاملة وشاملة، عقدياً وتربوياً وثقافياً، وتجعله من بين أولوياته، فتوجّه حميتهم توجيهاً سديداً، وترشدتهم إلى سبل الخيرات، وترسخ فيهم دعائم الإيمان وفضائل الأخلاق، بحكم أن هؤلاء الشباب هم قادة الغد ورجال الأمة وأمل المستقبل.

- إظهار صور ومعالم المُثل العليا في الإسلام أمام الشباب المسلم، ليصبو إليها، ويتمسك بمكارمها، ويهتدي بمكارم حياة عظماء رجالها، ويسير في حياته على ضوء هذه المُثل الراقية والتميّزة، فيستنير أمامه طريق الحياة الكريمة، والحياة السعيدة التي اهتدى بها سلفنا الصالح من العلماء والأخيار عبر التاريخ.

التوصيات

- تطوير المؤسسات الإعلامية-البصرية والسمعية والمكتوبة- للوقوف بكل عزيمة وإرادة في وجه التيار الجارف المتمثل في المؤامرة الكبرى في إشاعة الإلحاد ونشر الانحلال الأخلاقي، فلا بد من توفير بديل إعلامي إسلامي يحمل قيم الإسلام ومبادئه، على أن يكون على نفس المستوى من التقنية والإبداع؛ حتى نقنع المجتمع المسلم والشباب؛ بقدرة المسلمين على المواجهة والتصدي لمثل هذه المخاطر.
- تطوير المدرسة والجامعة لتستجيب لتحديات المرحلة واحتياجات الشباب والمجتمع.
- تطوير المسجد لتمكينه من أداء رسالته التربوية والاجتماعية والعلمية والتعبدية.
- تطوير الخطاب الدعوي ليرتفع إلى مستوى متطلبات المرحلة والعصر في صناعة الوعي الاجتماعي الإسلامي ليستعيد الشباب المسلم وعيه الإسلامي.
- رفع مردود المؤسسات الاقتصادية لتوفير الأموال لتشغيل الشباب في قطاعات الخدمات المختلفة، لمواجهة البطالة.
- تفعيل دور الأسرة في مواجهة الإلحاد والانحلال الأخلاقي، وجعلها على رأس الإجراءات الوقائية، وذلك لأهميتها وعظيم تأثيرها، لأنه لا يمكن لأية أجهزة مهما تطوّرت؛ أن تحوّل دون وصول هذا الغزو إلى عُقر دارنا، وإنما لا بد للأفراد والأسر من الوقوف بأنفسهم في التصدي لمثل هذه المخاطر.

والله أعلى وأعلم، وهو وليّ التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، در، دت.
- الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، تحقيق د السيد جميل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة الحلبي، ١٣٥٦هـ.
- الإسلام وحقوق الإنسان، الدكتور القطب طبلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- اشتراكية الإسلام، الدكتور مصطفى السباعي، مؤسسة المطبوعات العربية، دمشق، ط ٢، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٦هـ، ١٩٨٦م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (در)، ١٩٧٣هـ.
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة في الموقع الإلكتروني لجمعية الأمم المتحدة.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الحسيني الزبيدي، المطبعة الخيرية.
- تأصيل فقه الموازنات، عبد الله الكمالي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، (در، دت).
- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية، بيروت، (در، دت).
- تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (إسماعيل بن عمر أبو الفداء)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط ١، بيروت، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٤ م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (در، دت).

- الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة.
- روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبد العزيز السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت، الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة ١٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- سنن النسائي (المجتبى)، أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام، دمشق، دار الفكر، (دت، در).
- السيرة النبوية، ابن كثير (إسماعيل بن عمر أبو الفداء)، بيروت: مكتبة المعارف، (دت، در).

- شرح الزرقاني على موطأ مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرائي أبو العباس تقي الدين، تحقيق: إبراهيم سعيداي أبو عبد الله، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٩، ١٤٠٨هـ.
- شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح العثيمين.
- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ١٩٩٢م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (در، دت).
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى) ت ٧٣٤هـ، بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٧م.

- فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (در)، ١٣٧٩هـ.
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام؛ تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

- كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، (در، دت).
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- مختار الصحاح، ابن أبي بكر الرازي، اعتنى بترتيبه محمود خاطر، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط ٧، ١٩٥٣م.
- المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ٥، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
- المستصفى في أصول الفقه، حجة الإسلام محمد بن محمد الطوسي الغزالي، طبعة بولاق الأولى، ١٣٢٢هـ.
- المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، أحمد المقري الفيومي، دار القلم، بيروت.
- المصلحة المرسلة ومكانتها في التشريع، د. جلال الدين عبد الرحمن، مطبعة دار السعادة، ط ١، القاهرة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- معالم الشريعة الإسلامية، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.

- معجم لغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعة جي، د. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط ١، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، طبعته الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨ م.
- المِلل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، الحافظ ابن حجر، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وصبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.
- الموسوعة الفقهية الميسرة، الدكتور محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية، مصدر الكتاب: موقع الكاشف: www.alkashf.net/mthahb
- موطأ مالك (رواية يحيى الليثي)، إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط ٨، ١٤٠٤ هـ.